



خالد أمين

ليلة في ضيافة الخنزير

رواية



دار دَوْن

خالد أمين: ليلة في ضيافة الكونت، رواية

الطبعة العربية الأولى: يناير ٢٠٢٥

رقم الإيداع: ٢٠٢٤/٣١٦٦٢ - التقييم الدولي: 9-462-806-977-978

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر
لا يجوز استخدام أو إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب بأي طريقة
بدون الحصول على الموافقة الخطية من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب
لا تعبر عن رؤية الناشر بالضرورة
وإنما تعبر عن رؤية الكاتب.

© دار دَوْن

عضو اتحاد الناشرين المصريين.

عضو اتحاد الناشرين العرب.

القاهرة - مصر

Mob +2 - 01020220053

info@dardawen.com

www.Dardawen.com

«ولسوف يجدونَ كتابَ النوسفيراتو. وسيلبّونَ نداءَ القلعة.

سيبحرونَ وسطَ الضباب. تحملهم باخرةُ الأشباح.

وهناك، في الأرض بعيدة خلف الغابة.

سثراق الدماء، وأليسَ بعدَ كلِّ شيء هذا هو المَغزى والمعنى من
الدماء، أن تراق؟»

نبوءة لعزّافة قوم السلفاك بترانسلفانيا، رومانيا

«استمع إليهم، أبناء الليل، أي موسيقى عذبة تلك التي يعزفون.
أنتم يا أهل المدينة لا تستطيعون الولوج إلى مشاعر الذئاب».

برام ستوكر

«لأنّ الموتى يسافرون بسرعة»

من قصيدة لينور للشاعر بارجير

أوردغ، بوكول، ستريجويكا، فرولوك، فلوكوسلاك.

كلمات رومانية قديمة تشير لمخلوقات الليل.

«ليُغثنا الله، انا أراه الآن، هذا الشيطان، الوحش، الذي فتك بطاقم
البخّارة، لقد ظهرَ فورَ حلول الليل».

من سجلّ بيانات السفينة ديميتر، أثناء رحلتها من فارنا إلى
ويتبي، وقد وجدوا هذا السجلّ جوار جسد القبطان المقيّد بالحبال
في دفة السفينة، وهناك صليبٌ مغروز في يده، بينما عنقه مفتوحٌ
بالكامل كأن حيوانًا بريًا قد افترسه!

«كن حذرًا وأنت تجول بأرجاء تلك القلعة ليلاً، بعض الأماكن لا يفترض لأحد دخولها أبدًا، إنها قلعة عريقة، وتلك الأماكن القديمة تحمل الكثير من الذكريات بداخلها، بعض تلك الذكريات مؤذي»

فلاد المخوزق الثالث، عام ١٤٤٨.

تمهيد

«هناك صوتٌ شخيرٍ عالٍ أسفل فراشي»

لم تعلم مريم إن كانت قد حلمت بتلك الجملة أم نطقتها، ربما فكرت بها، أو صرخَ بها قلبها ذو النبضات السريعة والمتلاحقة. كانت ترتدي فستانًا أبيض، وتغظُ واهنةً في النوم شاعرةً وكأنَّ الفراش الحريري الناعم يكاد يبتلعُها بلعًا. غرفتها مظلمة اللهم إلا من ضوء شمعةٍ بعيدةٍ متراقصةٍ يكاد نورها يزوي بعيدًا كالحياة، ما بال هذا الوهن الذي ينتاب جسدها؟ رجفةٌ ممزوجةٌ بتَنميلٍ غريبٍ تجتاحها، وهي بين حالة اللانوم واللايقظة، شعرها الذهبي ينسدلُ فوق كتفها العاري، وسلسلةٌ تتدلَّى بكسَلٍ عند عظام تزقوتها، ومن نافذة الكوخ تتراض أشجار الغابة بكثرة كأنهم حراسٌ لشيء ما مُريع يُخفيه الظلام. ابتلعت مريم ريقها، هذا ليس بصوت شخير، تبدو كأنفاسٍ مُتَحَشِرجة

ينعكس عليها، قال قش القرية من قبل لوالدة مريم أن ابنتها تعاني من حالة المشي أثناء النوم، وقد قال تلك العبارة بلهجة ودودة ذات معنى وتحذير خفي «لو عرف أحد بهذا لسوف يتهمونها بأنها ساحرة ويحرقونها حيّة يا سيدتي»، فتومئ الأم المذعورة برأسها للقش المثقف الذي عاد للتو من بعثة تعلم بالفاتيكان، ودرس مختلف العلوم هناك. مريم نفسها كانت تعلم أن هناك شيئًا يحدث إبان نومها، أحيانًا تستيقظ لتجد نفسها في فراشها وقدمها مغطاتين بالوحد.

يخفق قلبها من فكرة أنها قد استيقظت وهي نائمة لتسير بعينين بيضاوين، وتطفو بنعومة بين أشجار الغابة كأنها روح ضالة.

وفي الصباح جوار نيران المدفأة لطقت أمها وهي تنظف الوحد من على قدمي ابنتها، لم يخف على مريم أنها نظرة تشكك شرعان ما حلت من على وجه أمها، لثانية من الزمن تساءلت الأم «هل ابنتي ساحرة؟» تذهب للغابة وتر

وتتظاهر بأنها تطالعُ الغروب، لكنها كانت تُنظر للغابة، وهي ترتدي فستانها الأبيض الأشبه برداء راقصات الباليه، لولا الثَّورةُ المُتدلية حتى قدميها، وفوقَ رأسها استقرَّت قبعة رأس نسائية صَنَعَتها أمُّها يدويًا. مريم ابنةُ الخياطة، تعيش وحيدةً مع أمِّها، في قرية «بورج» المواجهة لتلك الغابة العتيقة. كلُّ شيء أخضر من حولها، وتشعر كأنَّ قريتهم قد انفصلت عن الكون بسبب جبال «الكاريبات» المُحيطة بهم من كلِّ جانب، جبال مهولة، والقرية تُقع في الوادي على مشارف الغابة، نحن في عام ١٨٨٥ لو لم أذكر هذا لك بعد، تنهَّدت مريم. لشدة ما تُكره فكرة غروب الشمس، تكاد تهمش للشمس المُحتضرة وسط دُمائها الحمراء التي صبغت لونَ السماء: لا تُرحلي. أرجوك.

تكره قدومَ الليل وتخاف من أحلامها، تكره شعورَ الوهن هذا، ونظرات أمِّها الحائرة أحيانًا، واللائمة في حين آخر. تريث مريم أن تصرخ: لكني لم أرتكب إثماً.

بدأ الرعب يأخذ موضعًا دائمًا في قلب مريم عندما استيقظت في إحدى الليالي العاصفة، أهل القرية جميعهم يتدفقون داخل الأكواخ، لا أحد بالخارج سوى صهيل الخيول في الإسطبل، الأمطار تنهمر والرياح تعوي، تتقلب المراهقة الجميلة في فراشها وهي مُغمضة العينين، تبدو كقطعة جميلة واهنة، ويمتزج عواء الذئاب بعويل الرياح، ولثانية فتحت مريم عينيها فرأته.

ظل بعيدًا يتدلى من إحدى الأشجار البعيدة في الغابة.

ينظر إليها بعينين سوداوين، لزوجتين، لا حياة فيهما، فتحت فاهما لتصرخ لكنها تأوّهت بدلًا عن ذلك، وازداد الوهن في جسدها، هو يتدلى بالمقلوب من أعلى الشجرة، كالخفاش، لم تتبين ملامحه، فقط ظلّه وعيناه.

وهنا ابيضّت مقلتا عينيها، ووقفت ببطء لتمارس عادة «المشي أثناء النوم».

نراها تسير رافعة ذراعيها لأعلى، من الخيف أن تقابل أحد الثيام السائرين، ترى

تصرخ مريم وتفتح عينيها.

دَوامة هائلة تبتلع رأسها، هناك دماء.. دماء تنفجر في كل صوب.

كان هذا منذ عدة ليال.

والليلة هي الرابع من مايو، الليلة التي يتشاءم منها كل أهل القرية، ويرشون الملح أمام عتبات بيوتهم، ويضعون الثوم على المقابض، ويرسمون الصليبان، يتطيرون من تلك الليلة لأنها ليلة الأموات. والغيلان والفسوخ. سيلتقي السحرة عند المقابر، ويجتمعون في الرابع من مايو، ولسوف يمزق الرجال جلودهم، ويطلقون العواء قبالة القمر المكتمل وسط السحب.

كان قلب مريم يرتجف ذعرا بالفعل، فكرت أن تذهب للحدث مع القس، ولكن كيف تفعل هذا دون إذن والدتها؟
حلّ الليل. وفي تلك الليلة استيقظت مريم وهي تسمع صوت شخير من أسفل فراشها.

وجهه مُسنّ متعفن تتخلله الديدان.

رؤيتها له سيّجعله لا يراها، ليّتها تستطيع الصراخ، ليّتها تستطيع
استجداء والدتها.

والآن، يمكنك تخيل الموقف، مريم ملفوفةً بالكامل بالملاءة،
ترتجف رعبًا، لكنها تستطيع تبثّن ملامح العالم الخارجي بشكل
شفّاف من خلف الملاءة. لثانيتين تخيلت وجهه، يتلصص إليها
من نافذتها في ليالٍ سابقة، وجه أبيض شاحب، تعود له النضرة
تدرجيًا بعد أول لقاء لهم في الغابة، عندما سارت له وهي نائمة
كأنها هي التي دعت هذا الشرّ إلى غرفة نومها، أصبح منها ويَنام
أسفل فراشها كل ليلة، يا للهول! والآن من خلف الملاءة تتذكّر المرأة
فتنظر إليها كالمهلوفة، ولا تعكس لها المرأة وجود شيء أسفل
الفراش، تكاد مريم أن تبكي فرحًا، عندما انثبق الخفاش الآدمي، من
أسفل الفراش، وهبّ واقفًا أمام عينيها، رآته من خلف الملاءة، فارع
القامة، جلده أشبه بالفئران أو الخفافيش، لكنه متين البنية، وعريض
المنكبين، فأر بشريّ عملاق، بجناحين

ما يُرام، تقبض بيدها بقوة على السلسلة فُثدَمِيها، هنا شعرت بيده فوق يدها، تمسك السلسلة معها.

فتحت مريم عينيها لتجد عينيها وقد أضحّتًا حمراوين بلون الدم يحدقون بها، وقبل أن تصرخ أمسك بيده المخلبيّة المُشعرة بصدغها، وانقضّ على عنقها.

وعلى انعكاس المرأة المهشّمة نرى جسد مريم يرتج ويئنّفض ويرتفع عاليًا كأنّ هناك حبيبًا ليليًا خفيًا يحتضنها وهذا العاشق هو الرعب بنفسه، وانفجرت الدماء بينما هو يمزّق عنقها ويحتضنها بقوة. وغررّ مخالفته في معدتها وهو يفعل، فانتفضت الفتاة.

دفعها لتسقط على فراشها بعدما انتهى منها. وتراجع ظلّه للخلف. كانت الحياة لا تزال بداخل مريم، حقيقة أنّ وجهها أصبح أصفر من قدر الدماء التي فقدتها، وعنقها الممزّق بوحشية.

ورأت مريم رأس والدتها في المدفأة وسط النيران، عيناها
تحدقان بها، بينما اللهب يلتهم جلدّها وملامحها.

زحفت مريم، خرجت من الكوخ زحفاً، وتلّطّخ بالوخل فستانها
الأبيض المزين بدمائها، ظلت تزحف حتى وصلت للكنيسة.

تريد أن تموت بالداخل، لماذا لم ترّ أحداً بالقرية وهي تزحف؟

عرفت الإجابة فوق أنسلالها من باب الكنيسة الموارب، أهل
القرية جميعاً كانوا بالداخل، موتى، يجلسون كأثهم في قداس يوم
الأحد؛ رجال.. شيوخ.. أطفال.. نساء.. كلهم موتى، عنوقهم منحورة،
ونوافذ الكنيسة كلها مهشّمة، هناك رضيع يبكي في نهاية الرواق،
جوار منصة القس، اختلج قلب مريم لصوت الرضيع، «هشش سوف
يسمّعك ويأتي». لكن صوتها تخاذل عن النطق، وظلت الفكرة حائرةً
تجول في ذهنها فحسب.

حول نفسها، وسقطت الملفوفة لتتدلى الأفاعي بكسل ونعومة وتبدأ
بالزحف هي الأخرى فوق غنق وفم مريم. انسلت أكبرهم داخل
فستانها، يمكنك تخيل المشهد.. أليس كذلك؟ فتاة ذات رداء أبيض
ملطخ بالوَحْل والدماء ومغطاة بالأفاعي التي بدأت تعمل مهامها في
جسدها. أما الكلمة التي خطها القس بالدماء على جدار الكنيسة فقد
كانت «نوسفيراتو».

كان هذا في عام ١٨٨٥ كما ذكرت لك، في تلك الرقعة البعيدة عن
العالم، التي تخفيها الجبال.
مرحبًا بك في ترانسلفانيا.

استقلت من وظيفتي، ومذخراتي كادت أن تزهق بدورها، لكن الحمد لله أن بيت جدي يندرج للإيجار القديم، ولم يطردني أحد بعد، أعود ليلاً في شوارع السيدة حاملاً شطائر الفول الساخنة، أصدأ الأدرج مُسرّعاً، متخيلاً أفكار الجيران، العازب غريب الأطوار قد عاد ليلاً كعادته، أحكم غلق باب الشقة خلفي وتستقر عيناى على هذا الكتاب الذي توصلت إليه مؤخراً بعد رحلة بحث شاقة.

كتاب قديم هو، كتاب عتيق.

شديد الضخامة.

أنت تعلمين أن الكتب لها كاريزما وشخصية ما، لكن هذا الكتاب كان هو الأقوى تأثيراً، لقد قادتني أبحاثى لقصر قديم مهجور في محافظة نائية، وقد هجرها أهلها لسبب، لم أجد بها سوى تماثيل شمع، وهذا القصر القديم، وبه هذا الكتاب. بعض الحكايات تقول إن هذا هو قصر سليمان باشا الذي تم تشييده من العشرينيات، وإنه مسكون بطاقة شر لا مثيل لها، ربما أبحث

وهكذا حاملاً الكتاب والمشعل جلسْتُ قبالة المنضدة وبدأتُ أنقل الكلمات الرومانية للحاسب الآلي كي أترجمها، واثَّنتني فكرة جعلتني أضحك، لو رأى الجيران أو محصلُ الكهرباء تلك المشاعلَ والشموع لشدوا شعورهم وصرخوا من الحريق الهائل الذي سيبتلع البناية، لا تقلقوا يا سادة، عزت شديد الحرص و.. آه نتائج البحث تظهر أمام عيني، ترجمة الكلمات الرومانية كانت كالآتي:

«إياك أن تقرأ هذا الكتاب، ولا تنطق بكلماته بصوت عالٍ»

«من الدم سيأتي الدم.

من الدم سيأتي الدم.

من الدم سيأتي الدم.

ولو قرأت الكتاب فلا تذهب لكارفاكس أبي.

من الدم سيأتي الدم».

وتنسلُّ لقصر عتيق لتأخذَ كتابًا عمره نصف قرن من مكتبة لا يسكنها
سوى الغبار وشباك العناكب!

بدأت في البحث عبر الهاتف عن «كارفاكس أبي» فوجدتُ صورةً
لبنسيون عتيق في الإسكندرية، وتحت الصورة عنوان: أقدمُ بنسيون
في الإسكندرية. تعالى الحماس بداخلي، سوف أزور هذا المكان
القديم وأبيت فيه لو سنحت لي الفرصة، لن يتفهم أحدٌ قدرَ السحر
المكتنف لتلك الفكرة «المبيت في بنسيون كارفاكس أبي، ابن المئة
عام» سوى جامعِ مُقتنيات نادرة، ومُستكشفٍ مَحمووم بكلِّ ما هو
تاريخي وساحر مثلي.

آه.. هناك صياخٌ من الجيران، عائلةٌ أخرى سعيدة تتشاجر، بوقٌ
سيارة من الشارع وصبيّة يتمازحون ويتبادلون السباب، مذيعة
تحدّث عن ارتفاع الأسعار، يا إلهي لشدّ ما أمقت حياة المدينة!

«أنتم يا أهل المدينة لا تستطيعون الولوج الى مشاعر الذئاب؟»

أبتسم عندما تطالع الفكرة ذهنك، حشك الروائي يبحث دومًا عن ترتيب ملائم للأحداث.

لك أن تتخيلي المشهد التالي إذا، لحظة وصولي للبنسيون.. منذ أسبوع.

ليلة عاصفة وممطرة ومُنذرة بالويل في الإسكندرية.

أهرغ داخل بنسيون عتيق. كنت ذاهبًا هناك بغرض البحث كما ذكرت لك لكني لم أعلم شيئًا بشأن الأرصاد.

تعلمين بنايات الإسكندرية العتيقة التي تعدنا بقدر لا حصر له من الذكريات.

المصعد القديم ذو الأحبال.. ومدخل البناية ذو المئة عام.

الإسكندرية قديمة بحق، وأحيانًا أشعر أن تلك المدن القديمة لا تزال تحمل أشباح من عاشوا في القدم، كأنما هناك مدينة قديمة من أيام العثمانيين والممالك تختفي بالأسفل، مدينة ع

هَم

بنسيون كارفاكس آبي

ادخل بإرادتك الحرّة

بعض من سعادتك

استيقظت شاعرًا بالذوار، ولكن بالكثير من الحماس، كان كابوسًا
عجيبًا يا ناردين، وربما فرويد قادر أن يفسّر لنا قوة الأحلام لأن
عنقي كان يؤلمني بعد هذا الحلم المروع.

ما الذي قالته العجوز بشأنني؟ روح حائرة.

وأجابتنى بأنّ (بقعة حبر) (بقعة حبر) (بقعة حبر)

هل تُصدقين هذا؟ لعلّها أوهام ومُخيلة امرأة عجوز وحيدة.

(بقعة حبر كبيرة تخفي نصف صفحة)!

كلماتٌ منتورة بقلم رصاص يكاد أن يكون واضحًا للقراءة من
وسط البقع الحبرية:

يا إلهي! لقد دخلت القلعة. ليغثنا الله. ويرحم روح كل من يدخل
هذا المكان. أنا أراه.. يا إلهي! أنا أراه.. المخلوق الليلي.. ابن الظلام..
غطاء التابوت يتحرّك.. (بقعة حبر).. يده.. (بقعة داكنة ذات لون أحمر
غامق).

الغوث يا ناردين.

روحه وجسده، فسكنه الشر وظل يهيم في الأرض، غير ميت.. وغير
حي، أنت محقة في تفكيرك، لقد اختفى عزت لأنه قد ذهب لقلعة
دراكولا.

ثم شدّ فان هلسنج من قامته وبدأ أنه يستعدّ للنطق بشيء، وهو
يضغط على مخارج حروف الكلمة بقوة: نوسفيراتو.

